المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي

«بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي»

الأستاذ الدكتور

خليل أحمد عمايرة

أستاذ علم اللغة والنحو العربي سابقاً في:

جامعة اليرموك - الأردن

جامعة الملك عبدالعزيز - السعودية

جامعة الإمارات العربية المتحدة

مستشار في البنك الاسلامي للتنمية



المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي

(بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي)

تأليف

الأستاذ الدكتور خليل أحمد عمايره

أستاذ علم اللغة والنحو العربي سابقاً في:
جامعة اليرموك - الأردن
جامعة الملك عبد العزيز - السعودية
جامعة الامارات العربية المتحدة
مستشار في البنك الاسلامي للتنمية

الطبعة الأولى

٢٠٠٤



رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠٣/٨/١٦٧٨)
٤١٥
عمايرة ، خليل أحمد
المسـافة بيـن التنظـير النحوي والتطبيق اللغوي: بحوث في التفكير النحوي والتحليل اللغوي/ خليل أحمد عمايرة . عمان: دار وائل، ٢٠٠٣.
(٥٥١) ص
ر.إ. : ٢٠٠٣/٨/١٦٧٨
الواصفات: اللغة العربية / قواعد اللغة / اللسانيات

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 9957-11-339-9 (ردمك)

* المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي
* الأستاذ الدكتور خليل أحمد عمايرة
* الطبعـة الأولى ٢٠٠٤

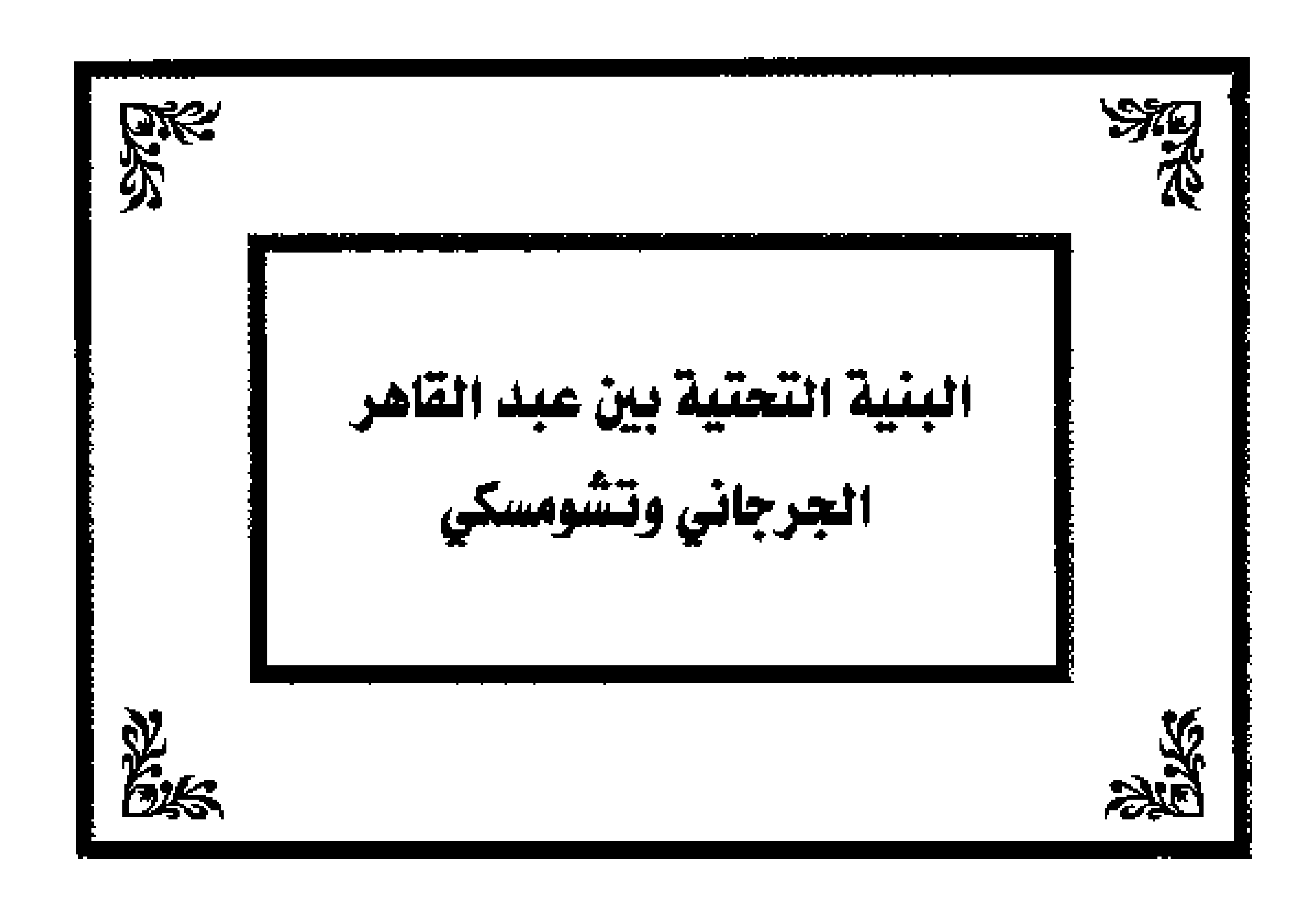


تنفيذ وطباعة بارجي بيروت - لبنان
تلفاكس: ٢٧٢٢٢٥ ٠٠٩٦١١
خليوي: ٣٣٤٦٤٨ ٠٠٩٦١٣

دار وائـل للنشر والتوزيع
شارع الجمعية العلمية الملكية - هاتف : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣٥٨٣٧
فاكس: ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣١٦٦١ - عمان - الأردن
ص.ب (١٧٤٦ - الجبيهة)
www.darwael.com
E-Mail: Wael@Darwael.Com

المحتوى

الرقم	البحث	الصفحة
16.	وقفة مع صلوات في هيكل الحب – للشابي	439
17.	التطور اللغوي المعاصر بين التقعيد والاستعمال	495
18.	الاعداد الثقافي لمعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها	535



البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي

البنية التحتية

بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي*

د. خليل أحمد عمايره

إن الناظر في المؤلفات القديمة، اللغوية والنحوية، يدرك قيمة هذا التراث الضخم الذي تركه لنا السلف، ويدرك أيضا الجهد والمعاناة التي بذلها اللغويون والنحاة في جمع مادتهم ودراستها والتمعن فيها لتقعيد القواعد النحوية ووصف الظواهر اللغوية على حد لا يقل عما يقوم به الباحثون اللغويون المعاصرون، فقد قاموا بجمع كمية كبيرة من المعطيات (الشواهد) وتدوينها ثم تصنيفها إلى مستويات لغوية: صوتية phonetics، وصرفية(Morphological) وتركيبية (Syntactic Structures)، ثم قاموا بوضع العناصر التي يمكن أن تكون في مجموعها نظرية لغوية متكاملة، لا تقل عن النظريات اللغوية لعلماء اللغة المعاصرين في الغرب والشرق. وقد أدرك بعضهم أنّه كان يصف اللغة وصفا علما شاملا، يعرفها ويضع الخصائص التي تنطبق على العربية وعلى غيرها. يقول ابن جني معرفا اللغة وحدها. أمّا حدُّها فإنّها أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم[1] ومنهم من كانت له في اللغة نظرية إلا أن أفكار هذه النظرية كانت مشتتة مبعثرة في مؤلفاته، الأفكار التي لو جمعت لانتظمت في نظرية لا تقل قوة وشمولية عن النظريات اللغوية لمشاهير علماء اللغة المعاصرين.

ولنأخذ عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) لهذا مثلا فنقابل بين أفكاره اللغوية وأفكار أصحاب النظريات اللغوية المعاصرة.

ولما كان العالم السويسري F.de Saussure، هو رائد المدرسة اللغوية الحديثة الذي تأثر بأفكاره معظم معاصريه مثل Sapir، وbloomfield، و Boas في اعتمادهم المنهج الوصفي .Descriptive Structural Approach سبيلا وحيدا للبحث اللغوي.

---

* بحث نُشر في مجلة الأقلام العراقية العدد 9 عام 1983م، 88 ـ 95.

وقد تأثر بأفكاره أيضا كثير ممن جاءوا بعده. أي في العقود الثلاثة الماضية من هذا القرن، ويأتي على رأس هؤلاء العالم الأمريكي Noam Chomasky الذي بعد أن نشر كتاب Syntactic Structures سنة 1957 قمة الهرم في المدرسة اللغوية المعاصرة، لذا نرى أن نقابل بين عناصر نظرية سوسير اللغوية في نقطتين من أهم بنودها وما يماثلهما عند الجرجاني لنصل إلى المقابلة بين الجرجاني وتشومسكي.

يرى سوسير كما يرى غيره من علماء اللغة أنّ اللغة المعاصرة ظاهرة اجتماعية مكونة من مجموعة من الرموز الصوتية[2] أو الحروف المكتوبة التي لا معنى لها قبل تآلفها وانتظامها في مبان صرفية، يتم ترتيب هذه الرموز والحروف في مبانيها بطريقة عشوائية في بداية أمرها، ثم تكتسب معنى تشير إليه فيصبح ارتباطها به ارتباطا اصطلاحيا اتفاقيا ثابتا في التداول بين أفراد اللغة الواحدة، ولكن هذه المباني تكتسب أبعادا أخرى في التركيب الجملي والسياق الذي ترد فيه.

ويقول عبدالقاهر الجرجاني:...... وذلك أنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد[3]. ومبرر هذا التتابع بين هذه الرموز في الكلمة الواحدة هو مقتضى جهاز النطق،... هو العجز عن أن ينطق بالحروف أو أن تدخل بجملتها في النطق دفعة واحدة[4]. ويقول أيضا: ولا معنى للعلاقة والسمة حتى يحتمل الشيء ما جعلت العلاقة دليلا عليه وخلافه، فإنّما كانت "ما" مثلا علما للنفي لأنّ ههنا نقضيا له وهو الإثبات، وهكذا إنّما كانت "من" لما يعقل لأن ههنا ما لا يعقل[5].

أما النقطة الهامة الثانية التي طلع بها دي سوسير وكان لها أثرها الواضح على النظريات اللغوية التي تلت نظريته، وهي التمييز بين وجهين للغة[6]. الأول: Parole، وهو الكلام أو الوجه الذي يستعمله الأفراد في المجتمع الصغير وفقا لقواعد عامة، لغوية واجتماعية وسلوكية، يراعيها أفراد المجتمع فلا يخرجون عنها، ولكن هذه القواعد تبقى مراعاة في حدود تلك المجموعة الصغيرة، في لهجتها وفي المعاني التي

تحملها الكلمات، وفي الاستجابة التي تترتب عليها. أما الوجه الثاني فهو: Langue اللغة وهي النتاج الاجتماعي الجماعي للمجتمع الكبير الذي يهدف أفراده أن يكون ما ينقلونه إلى غيرهم واضحا مفهوما. وهذا يقتضي أن يراعي هؤلاء الأفراد القواعد والنظم والضوابط اللغوية المشتركة بين أفراد المجتمعات الصغيرة في المجتمع الكبير. وهذا الوجه من اللغة هو النموذج الذي يمكن جمعه ودراسته لتقعيد القواعد العامة ووضع النظم اللغوية التي تتسم بها تلك اللغة[7]. وهي المهمة التي كانت موضع اهتمام اللغويين والنحاة العرب القدماء، يقول السيوطي: اعلم أنّ اللغويّ شأنُه أنْ ينقلَ ما نطقت به العرب ولا يتعداه (Descriptive Struetural approach). وأما النحويُّ فشأنه أنْ يتصرفَ فيما نقله اللغوي ويقيس عليه[8] Prescriptive Structural approach.

أما اللغة عند الجرجاني فهي الوسيلة الوحيدة للتخاطب والتفاهم بين الناس... مما يعلم ببداءة العقول أن الناس يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده[9] بمجموعة من المفردات، وبصفة أعم بكل الوحدات التي ضبطت بالتواضع لتسمية الحوادث والأشياء، وإقامة الفروق بين المفاهيم.

لقد تأثر العالم اللغوي المعاصر N.Chomsky بآراء دي سوسير في أن اللغة ظاهرة اجتماعية ذات شقين: لغة وأطلق عليه Competence،[10] ويعني به القدرة التي تمكن كلّ فرد من أفراد المجتمع الناطق باللغة من التعبير عما في نفسه بجمل يفهمها أفراد المجتمع الآخرون، وإن لم يكن قد سمعها مركبة من أحد من قبل، فلديه القدرة على توليدها مركبة من المباني الصرفية ذات المعاني المعجمية مع مراعاة القواعد النحوية التي على ضوئها يتم له ربط هذه المباني الصرفية بعضها ببعض في جمل ذات حدود وأنظمة ومعايير، وعلى ضوئها أيضا يستطيع أن يصرف المعنى الذي في نفسه بتحريك المباني الصرفية في الحد الذي تسمح به قواعد النحو واللغة، وهي التي يسميها Transitional rules،[11] وبعبارة أخرى هي الجانب الأدبي المضبوط بقواعد صوتية وصرفية ومعجمية تهدف تحقيق المعنى الدلالي العميق يعبر عنه Deep Structures (البنية التحتية)[12].

وأمّـا الشـق الثاني فهو الكلام ويطلق عليه Performance،[13] وهو مجموعة الأصـوات اللغويـة المنطوقة، ينطق بها مجموعة من الأفراد بكيفية معينة. وليس من الضـروري أن تكـون متفقة مع قواعد اللغة وقوانينها وأنظمتها، أو خاضعة لها، وإنما تخضع للموقف الذي يكون فيه المتكلم فيعبر عما في نفسه دون تأمل أو تبصر وهذا هو ميدان Surface Structures،[14] (البنية السطحية).

يَعـدُ تشومسـكي الجملـة نقطـة الانطلاق في التحليل اللغوي خلافا اللغويين السـابقين علـيه، وبخاصة أصحاب المدرسة البريطانية هنري سويت وجاردنر ودانيال جونـز الذين كان تركيزهم على الأصوات وتحليلها، إلى أن جاء العالم البريطاني فيرث J.Firth وأفاد مما كتبه سلفه وأضاف إليه ما أسماه السياق اللغوي VerbalContext، [15] وذلـك لأن تشومسـكي وجد أن كل لغة تبنى على عدد محدود من الأصوات اللغوية (فونـيمات) ينتج عنها عدد كبير جدا من المباني الصرفية (مورفيمات) في حين إن عدد الجمل الناتجة عن انتظام هذه المباني الصرفية لا سبيل إلى حصره، ومن جانب آخر لأن الجملـة هي الصيغة الظاهرة المستعملة في الإشارة إلى المعنى، وهي الميدان الذي يهتم بـه الباحـث اللغـوي لاستنباط القواعد التي تساعد الناطق بلغة ما على توليد التراكيب السـليمة وإطـراح غـير السـليمة. وبعبارة أخرى، فإنه يرى أن الجملة –وهي ميدان الدراسـة اللغوية لاستنباط القواعد النحوية هي أيضا مكونة وفقا لقواعد وقوانين لغوية نحويـة ترتضيها تلك اللغة، فتندرج في باب من أبواب نحوها لتفيد معنى قد تتحول عنه إلى معنى آخر وفقا لمجموعة من القواعد النحوية أيضا Transformational rules و يقـول الجرجاني: ... وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا، فأنت في هذا لم تقـدم... على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير... بل على تخرجه عن كونه... إلى كونه...[16] .

ويـرى تشومسـكي أنّ للجملـة وهـي بؤرة التحليل اللغوي من حيث علاقتها بالمعـنى وتحقيقها، وجهين: سطحي خارجي ظاهر surface structure وتحتي باطني

عميق deep structure نقول مثلاً، Sincerity may frighten the boy فهذه جملة (S)[17] نحللها كما يلي:

Frighten the boY VP Det (Art) N (1) A

SinceritY NPN (2)

MaY AUX (3)

SinceritY NP F P (1) B

frighten the boY VP F P (2)

the boY N P F O OF VP (3)

frighten V F MV (Main V) (4)

the to Y C N (Count N) (1) C

Frighten TV (2)

sinceritY AN (abstract N) (3)

وعلى الرغم من أن المعلومات الواردة في التحليل السابق هي معلومات صحيحة، لازمة وأساس لمعرفة ترابط الكلمات في النظام اللغوي، إلا أن الموضوع الرئيس، وهو اتحاد هذه المعلومات في تركيب يولده التحدث باللغة على ضوء نظام نحوي واضح القواعد، لا تحققه هذه الطريقة.

Taxonomic approach،[18] القائمة في التحليل على وضع هذه المعلومات في قوائم من التصنيفات الجزئية، ولا تساعد في الوصول إلى الاختلاف في المعنى الناتج عن استبدال الفعل (frighten) بفعل آخر مثل vartue أو elapse أو admire،[19] وستبقى الرموز أمام الفعل هي بعينها (vp) في الحالات الأربع، لا تتغير، وذلك لأن التحليل لم يذهب إلى أكثر من وصف المباني الصرفية. وربما كان قصور هذه الطرق في الوصول إلى المعنى المطلوب من الجمل وبخاصة الجمل الملتبسة هو الذي دفع تشومسكي إلى رفضها ورفض الأسس والأهداف التي يقوم اللغويون البنيانيون بالتحليل في ضوئها، ودفعه أيضا إلى الاتجاه نحو الوجه الثاني من وجوه التحليل اللغوي وهو البحث عن البنية التحتية أو العميقة Deep structure ، لأنها في رأيه تمكن الباحث من وصف الأسس النحوية لتتابع المباني الصرفية، الأسس التي تمكن المتحدث بلغة ما أن

يشـكل عددا غير محدود من الجمل، وهذا هو ما يسميه النحو التوليدي Generative grammar، ولنأخذ عددا من الجمل الملتبسة نحللها تحليلا سطحيا ثم نبحث عن معناها العميق[20].

1- بقالــة الجامعة الجديدة واسعة (لوحة على مدخل بقالة بالقرب من جامعة اليرموك)

ج= م أ+ أ

فـإذا اعتـبرنا أنّ المضـاف إلـيه والنعـت بمثابة كلمة واحدة، فيكون النعت (الجديـدة) نعـتا لكلمـة بقالـة، في حين إذا قصد أن يكون النعت تابعا للجامعة فيكون تحليلها:

ج= أ+م أ+أ.

فمـثل هـذه الجمـل تبقى ملتبسة لا سبيل إلى الوصول إلى معناها العميق إلا بـتحويلها إلـى جملة أخرى مثل: بقالة واسعة للجامعة الجديدة أو: بقالة جديدة واسعة للجامعة...الخ.

2- الطالبات والطلاب المجتهدون يحبون علم اللغة

ج= أ+ ح + م1 + م ف + م1.

= أ + ح + (أأ/ن) + (ف ض) + (أأ)

فـتكون كلمة (المجتهدون) نعتا للطلاب، في حين إن المتكلم قد يقصد أن تكون نعتا للطالبات كما هي للطلاب، ولكن جاءت بلفظة المذكر على التغلب في العربية، فيكون تحليلها:

ج= م أ + ح + م أ + م ف + م أ

= (أأ/ن) + ح + (أأ/ن) + (ف ض) + (أأ).

وهـــذا الـــنوع من الجمل يبدو مقبولا، تقبله اللغة وتدافع عنه، بحجة أن ما قبل حرف العطف يساوي ما بعده. وأن الناظر في البنية التحتية لهذه الجملة يدرك أنها تعني ربط النعت بالاسم السابق على حرف العطف والاسم الذي يأتي بعده.

3- ألاَ يا سلمىِ يا دارَ ميّ على البِلى

ج= ح + ح + م ف + ح + م أ + ح + أ

= ح + (ح¯) + (ف ض) + ح أ أ) + (ح أ).

= ح + ح [(أ) مقدر + (ف ض) + (ح أ أ) + (ح أ)].

مـــثل هذه الجمل مقبول في اللغة لوجود القرينة الدالة على الاسم المقدر، وهي يـــاء النداء التي لا تدخل على الفعل، وهذا يبدو من النظر في البنية التحتية للجملة، فإن المـــتكلم ينادي (أحدا) ليلقي إليه بحديث معين، فلابد من تقدير ما يشير إلى (أحدا) وهو (أ/مقدر).

لـــنعد الآن إلى الجملة السابقة، الموضوعة باللغة الانجليزيـــة ... Sencerity may فـــإن التحليلات الموضوعة أمامها لم تزد كما قلنا، على الوصف السطحي لمباني هذه الجملة، ولعلاقة هذه المباني ببعضها ببعض وفقا لقواعد نحوية معينة Generative rules وقـــد تتغـــير مواقع هذه المباني، فيتغير معنى الجملة في كل مرة إلى معنى جديد وفقا لقواعد نحوية معينة Transformational rules فالجملة تولد وفقا لقواعد تنسجم مع ناموس اللغة، أية لغة، ثم يتحول تركيبها وفقا للمعنى الدلالي ولتحقيق البنية التحتية المقصود منها، فإن وظيفة القواعد التحويلية الرئيسة هي تحويل البنية التحتية لتبدو في تراكيب سطحية، إذ إن البنية التحتية تمرُّ عادةً بسلسلةٍ من قواعد التحويل قبل أن تصبح تركيـــبا سطحيا متكاملا، وإن المعنى الرئيس في الجملة كلها (المكونة من مجموعة من الجمـــل القصـــيرة أو التراكيب السطحية) يكمن في بنيتها التحتية، سابقا بذلك استعمال القواعـــد التحويلـــية[21]. وبعبارة أخرى فإن لكل جملة وجهين ماثلين بارزين فيها، وجه يبدو في الشكل، والآخر يبدو في المعنى. وإن الهدف الجوهري للجملة يكمن في المعنى الـــذي يتمثل في بنيتها التحتية، أما الشكل فإنه يتحقق في تركيبها السطحي. وإن معنى

الجملــة العميق يبدو في تراكيب سطحية وفقا لقواعد النحو التحويلي، التي وإن كانت لا تغــير المعــنى الأســاس فــي الجملة، إلا أنها تؤثر على التراكيب السطحية التي تبدو عليها[22].

فاللغــة، أيــة لغــة، تضم مجموعة من الجملة البسيطة للتعبير عن معنى بعينه Kernal Sentences ثــم تحويــل هذه الجمل للتعبير عن معان أخرى، وذلك باستخدام قواعد النحو التحويلي[23]. ولنضرب مثلا من العربية لتوضيح هذه الفكرة:

1قابل 2رئيسُ الجامعة 3الطلابَ 4مساءَ أمسِ 5في مكتبةِ الجامعة 6تكريماً لهم.

فــإن الأصــل فــي الجملة الفعلية في اللغة العربية أن تبدأ بفعل، ومن هنا فقد جــاءت هــذه الجملــة مولودة على الأصل، تسير في تتابع كلماتها وفقا لقواعد نحوية معينة، ولكنها قابلة للتحويل إلى عدد هائل من الجمل بالتقديم والتأخير، كما يلي:

6	5	4	3	1	2
6	5	4	2	1	3
6	5	3	2	1	4
6	4	3	2	1	5
5	4	3	2	1	6
6	5	1	2	4	3
6	5	4	1	2	5
3	1	2	4	5	6
3	2	1	4	5	6
4	5	3	1	2	6
5	4	3	1	2	6

...... الخ

يتم هذا التحويل في الجملة في حدود يسمح بها النحو ليحقق في كل مرة معنى دلاليا يختلف عنه في الأخرى، ولا يخرج عن النظام النحوي للغة. أو كما يعبر عنها أبو سـعيد السيرافي: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضع الحروف فـي مواضعها المقتضية لها، وتأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب، وتجنب الخطأ في ذلك. وإن زاغ شيء عن النعت فإنه لا يخلو أن يكون سائغا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردودا لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم[24]: وإن مواقع الكلمـات واستعمالها في الجملة يكون وفقا لترتيب المعاني في النفس. يقول الجرجاني: "لا يتصـور أن تعـرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ مـن حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وإنك تتوخى الترتيب في المعاني، وتعمل الفكر هناك، فـإذا تـم ذلك اتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسـك، لـم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها. وإن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفـاظ الدالـة علـيها في النطق[25]. لذا فإن جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسي، وأما الكـلام اللفظي فهو ظل لهذا الكلام النفسي[26] مضبوطا بقواعد وقوانين اللغة، وهي غاية ما يصبوا إليه علم اللغة الوصفي ليقدم جملة تعبر عن هذا المعنى[27].

نحاول الآن أن نضع الرسم التالي ليبين مطابقة هذه الأفكار لعلم اللغة المعاصر ومعطياته:

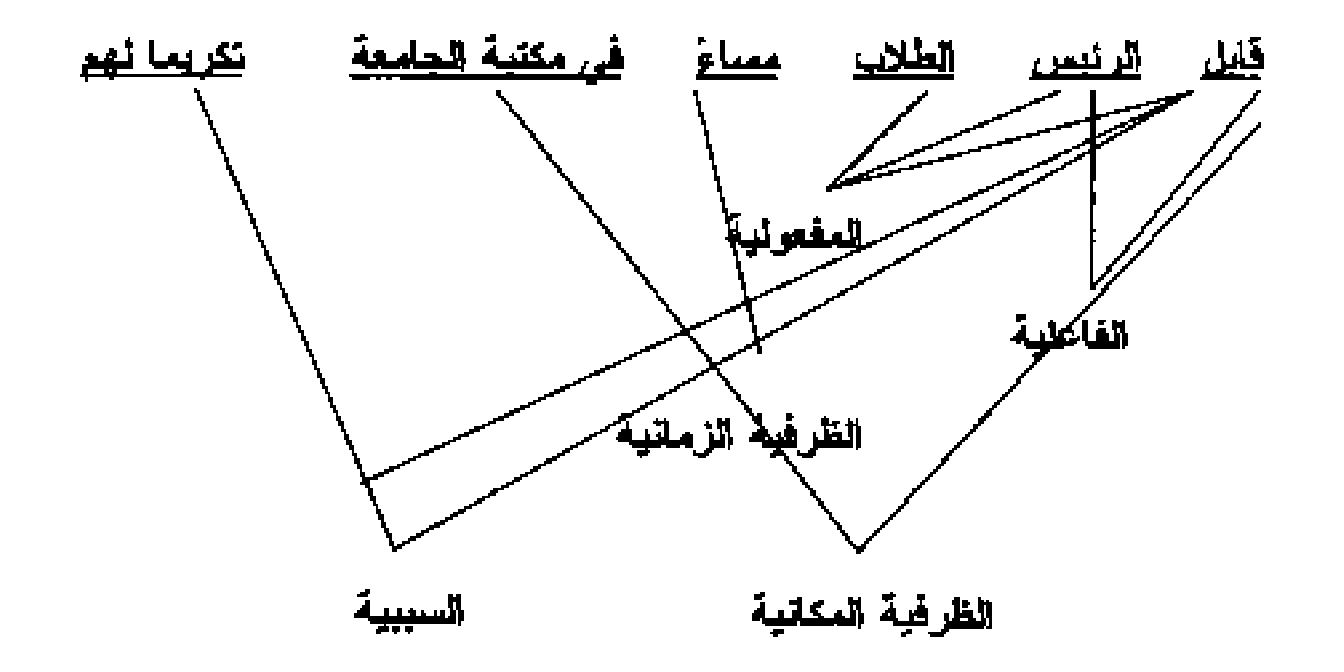
المعـنى الدلالـي أكبر من > تركيب فونولوجي+ تركيب مورفولوجي ⊂ بنية سطحية + قواعد تحويلية U البنية العميقة ⊂ النحو ⊃ التنغيم.[28]

مجموعـــة مـــن الأصوات اللغوية الخاضعة لنظام الأصوات وجهاز النطق في اللغة

مجموعـــة من المباني الصرفية الخاضعة لنظام صرفي معين، وقوانين تركيبية معينة البنية التحتية (للمعنى)[29]

مجموعـــة من التراكيب السطحية الخاضعة لـــنظام القواعد التحويلية، والموجودة وفقا لقواعد النحو التوليدي

وستعرض البنية التحتية عند عبد القاهر الجرجاني، بعد أن نعرض فهمه للبنية السطحية. يرى الجرجاني أنّ المباني الصرفية التي تحتويها اللغة (أوضاع اللغة) تحتاج معهـــا إلى شيء آخر لتكون قادرة على جعل السامع يعرف غرض المتكلم ومقصوده[30] المقصـــود الـــذي هو بالتأكيد ليس معاني الكلم المفردة[31]. فالكلمات وحدها لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب[32]، فمـــا هذا الشيء الذي يربط بينها؟ فليس من عاقل يفتح عين قلبه إلا وهو يعلم ضرورة أن المعـــنى فـــي ضم بعضها إلى بعض، وتعليق بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، لا أن ينطق ببعضها في أثر بعض من غير أن يكون فيما بينها تعلق[33] فما معنى هـــذا التعلـــيق؟ ومـــا الأســـباب إلى تربط هذه الكلمات بعضها ببعض؟ وهل التعليق هو الاقتضـــاء بالعمل والعامـــل؟ أم هو ترابط بين كلمات تمثل كل منها بابا نحويا؟ وإن كان ذلـــك كذلـــك، فهل هذا هو الذي قصده الجرجاني بجعل بعضها بسبب من بعض، فالجملة خـــيط يـــربط بيـــن مجموعة من الأجزاء يقوم التركيب (النحو) فيها بوظيفة هامة، هي تحديـــد الكيفية التي تترابط عليها هذه الأجزاء لتكون الجملة[34]، فالجملة تترابط كلماتها على النحو التالي:



وهـذه في حد ذاتها مصطلحات نحوية، لا يستطيع السامع أن يفهم منها غرض المـتكلم ومقصـوده. فمـا التعلق عند الجرجاني إذا؟... ويعلم كذلك ضرورة إذا فكر أن التعلق يكون بين معانيها لا فيما بين أنفسها، ألا ترى أنا لو جهدنا كل الجهد أن نتصور تعلقـا فيما بين لفظين لا معنى تحتهما لم نتصور[35]. إذا فالتعليق هو بؤرة النظرية عند الجرجاني، وهو مصطلح مواز لمصطلح آخر يستعمله كثيرا وهو النظم، معلوم أن ليس الـنظم سـوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض[36]، لا نظم في الكلـم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، ويجعل هذا بسبب من ذلك[37]. وهنا نستطيع أن نضع اللبنة الأولى في بناء المعادلة اللغوية عند الجرجاني:

النظم = أو ◄——► التعليق

ويقـول في موضع آخر: واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها[38].

النظم ≡ أو ◄——► قوانين النحو وأصوله ومناهجه (علم النحو).

ثـم يوضـح تكونـي العلاقة بين الكلمات قائلا ليست إلا توخي معاني النحو في معاني الكلم[39] فتصبح المعادلة كما يلي:

النظم ≡ ←——→ التعليق ≡ ←→←→ علم النحو □ قوانيـــن الـــنحو وأصوله ومناهجه ←→ المعنى الدلالي بين السامع والمتكلم.

وإن هـــذا المعـــنى الدلالي (المذكور في آخر المعادلة) يخضع للتحويل والتغيير وفقـــا للمعنى الموجود في الذهن، فيأتي ترتيب الكلمات في الجملة دالا عليه مشيرا له.. فلا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما، وإنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك[40].

وهنا نضرب أمثلة توضح البنية السطحية Surface structure وأوجه التحليل علـــى ضوئها عند العرب، ثم نعرض متابعة عبد القاهر الجرجاني التحليل لتحقيق البنية العميقة Deep structure فنحلل جملة قصيرة كما يلي:

أ- أكرم خالد فاطمة

أكرم: فعل ماض متعد.

خالد: اسم مفرد مذكر علم.

فاطمة: اسم مفرد مؤنث علم.

ب- أكرم: فعل ماض مبني على الفتح.

خالد: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

فاطمة: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

فإنـــه كمـــا يبدو واضحا أن التحليل الأول تحليل يعتمد على قسم من أقسام علم اللغـــة وهـــو الصرف Morphology ، في حين يعتمد الثاني على قسم من أقسام علم التركيب (النحوSyntax) وهو الوظيفة المعتمدة على العامل الذي يؤثر على أواخر الكلم فـــي الجملة، فيطبعها بحركة إعراب معينة، وإن طريقتي التحليل هاتيـــن لا تكشفان عن المعـــنى، فإننا لو وضعنا كلمة (أكرم) بدلا من (أهان) أو كلمة (علي) بدلا من (خالد) ... الخ لما اقتضى ذلك أي تغيير في التفصيل المذكور أمام هذه الكلمات، في حين إن التباين

فـــي المعنى بين أكرم وأهان، هو التباين بين الشيء وضده. ولعل الأمثلة التالية توضح جانبا آخر من جوانب تحليل التركيب السطحي للجملة نقول:

قطع الرجل الشجرة. قطعت الشجرة. انقطعت الشجرة.

فـإن كلمـــة الشجرة في الجملة الأولى مفعول به، وفي الثانية نائب فاعل، وفي الثالـــثة فـــاعل، وفـــي الحقـــيقة إن كلمة الشجرة في الجمل الثلاث هي موضوع وقوع الحـــدث. وقد جاءت في الجملة الأولى ممثلا مندوبا عن باب نحوي يعبر عنه بالمصطلح الـــنحوي (مفعـــول بـــه) الـــذي يجب أن يحمل ممثله حالة النصب، التي يرمز إليها إمّا بالفـــتحة أو الـــياء أو الألف، وتحتاج إليه الجملة عندما يكون فعلها متعديا. وفي الجملة الثانـــية جـــاءت ممـــثلا مندوبا عن باب نحوي آخر يعبر عنه بالمصطلح النحوي (نائب فـــاعل) تحـــتاج إليه الجملة عندما يكون فعلها متعديا، وفاعلها غير معروف، أو لا يراد التصـــريح بـــه، وهذا الممثل يحمل علامة يرمز لها إما بالضمة أو الواو أو الألف. وفي الثالـــثة. جـــاءت ممثلا لباب آخر يسمى الفاعل، ويذهب إليه متمما للفعل اللازم، ويأخذ حالة يرمز لها بالضمة أو الواو أو الألف.

علـــى الرغم من أن طرق التحليل هذه لا تكشف عن المعنى الدلالي للجملة، إلا أنها لازمة ضرورية، مرحلة أولى، للتحليل، ولكن دورها ينتهي بتحديد الحركة الإعرابية علـــى أواخـــر الكلـــم، ثـــم يأتي دور التحليل العميق للجملة. ولنعرض هنا كيف يعالجه الجرجانـــي: ...إذا قلت ضَرَبَ زيدٌ عمرا يوم الجمعة ضرباً شديدا تأديبا له، فإنك تحصل مـــن مجمـــوع هذه الكلم على مفهوم هو معنى واحد. لا عدة معان كما يتوهمه الناس، وذلـــك لأنـــك لم تأت بهذه الكلم لتفيد أنفس معانيها، وإنما جئت بها لتفيد وجوه التعليق التـــي بيـــن الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق (وهذه هي المرحلة الأولى)، وإذا كان الأمر كذلك، فينبغي لنا أن ننظر في المفعولية من عمـــرو وكـــون يـــوم الجمعة، زمانا للضرب، وكون الضرب شديدا، وكون التأديب علة للضـــرب، أيتصـــور فـــيها أن تفرد عن المعنى الأول الذي هو أصل الفائدة، وهو إسناد الضـــرب إلـــى زيد، وإثبات الضرب به له حتى يعقل كون عمرو مفعولا به، وكون يوم

الجمعة مفعولا فيه وكون ضربا شديدا مصدرا، وكون التأديب مفعولا له، من غير أن يخطر ببالك كون زيد فاعلا للضرب؟

(ثم تأتي مرحلة الكشف عن البنية التحتية deep structure) وإذا نظرنا وجدنا ذلك لا يتصور، لأن عمرا مفعول لضرب وقع من زيد عليه، ويوم الجمعة زمان لضرب وقع من زيد، وضربا شديدا بيان لذلك الضرب، كيف هو وما صفته، والتأديب علة له وبيان أنه كان الغرض منه. وإذا كان ذلك كذلك، بان منه وثبت أن المفهوم من مجموع الكلم معنى واحد لا عدة معان، وهو اثباتك زيدا فاعلا ضربا لعمرو في وقت كذا وعلى صفة كذا ولغرض كذا، ولهذا المعنى نقول: إنه كلام واحد.[41]

ويقول في موضع آخر: ومما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر، أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم، ولا يصح في عقل أن يتفكر في معنى فعل من غير أن يريد إعماله في اسم، ولا أن يتفكر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه، وجعله فاعلا له أو مفعولا، أو يريد منه حكما سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ، أو خبرا أو صفة أو حالا، أو ما شاكل ذلك. وإن أردت أن ترى ذلك عيانا فاعمد إلى أي كلام شئت، وأزل أجزاءه عن مواضعها، وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها، فقل في: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

من نبك قفا حبيب ذكرى منزل: ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها؟[42]

ولعلنا نستطيع هنا على ضوء كلمات الجرجاني أن نضع تحليلا يكشف البنية التحتية والمعنى الدلالي في الجملة، ولنتخذ من المفعول به نقطة الانطلاق فنقول:

عمرا: هو الذي أوقع عليه زيد الضَرب

زيد: هو الذي أوقع الضرب على عمرو

ضرب: هو الحدث الذي أوقعه زيد على عمرو

يوم الجمعة: هو الزمان الذي أوقع فيه زيد الضرب على عمرو

ضربا شديدا: هو توكيد للضرب الذي أوقعه زيد على عمرو وبيان نوعه

تأديبا له: هو السبب أو العلة التي من أجلها أوقع زيد الضرب على عمرو

وهـنا نـرى أن نشـير إلى أن التحليل السطحي السابق لازم وضروري لوضع الحركة الإعرابية التي تكون في كثير من الأحيان قرينة مساعدة للوصول إلى المعنى[43]، ثـم يأتـي دور القواعد التحويلية transformational rules التي هي جزء من النحو، التـي فـي ضـوئها يـتم ترتيـب الكلمات في الجملة لترتيب معانيها في النفس، يقول الجرجاني: وجملة الأمر: انه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصـنعة إن لـم يقدم فيه ما قدم، ولم يؤخر ما أخر، وبدئ بالذي ثني به، أو ثني بالذي ثلـث بـه، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصنعة[44] ويقول: ثم اعلم أن ليست المزية بواجـبة لهـا (الكلمـات) في نفسها ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض[45].

النظم = ← قواعد النحو + قوانين اللغة < القواعد التوليدية والتحويلية = ←المعنى

ويقـول: لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب (من أبـواب النحو) وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد.... وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها فـي قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجـت، أنا إن خرجت خارج، وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسـرعا، وجاءني يسرع، وجاءني وهو مسرع... فيعرف لكل من ذلك موضعه ويجيء بـه حيـث ينبغـي له، ويـنظر فـي التـي تشترك في معنى، ثم ينفرج كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه... وينظر في الجمل التي تـرد، فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل... ويتصرف في التعريف والتنكير والـتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيضع كلا مـن ذلـك فـي مكانـه[46]. وإن الاقتصـار على أي من التحليلين النحوي الوظيفي، أو

الصرفي، يؤدي إلى الفصل بين المعنى والنحو، فيذهب كل في طريق، له أتباعه وأنصاره، وليس من الضروري أن يلتقيا. يورد الجرجاني الخبر التالي: ... وعن بعضهم أنه قال: رآني البحتري ومعي دفتر شعر فقال ما هذا؟ فقلت شعر الشنفرى، فقال: أين تمضي؟ فقلت إلى أبي العباس (ثعلب) اقرؤه عليه، فقال: قد رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام عند ابن ثوابه، فما رأيته ناقدا للشعر ولا مميزا للألفاظ، ورأيته يستجيد شيئا وينشده، وما هو بأفضل الشعر. فقلت له: أما نقده وتمييزه فهذه صناعة أخرى ولكنه أعرف الناس بإعرابه وغريبه[47].

ولو حاولنا دراسة الأبواب النحوية على ضوء المعنى الذي هو غاية ما يصبو إليه المتحدث والكاتب، لقمنا بدراسة عدد من الأبواب المتفرقة في كتب النحو القديمة والحديثة في باب واحد يربط المعنى بين أجزائه، ولاستطعنا أن نفصل بين كثير من العناصر اللغوية الموضوعة في باب نحوي واحد لا يربط بينها إلا أنها تترك أثرا موحدا على أواخر الكلمات التي تليها، وربما كان المعنى الذي يحمله هذا مغايرا تماما للذي ينقله الآخر. وهذا هو الذي دفع القوم قديما إلى القول في أبي العباس... أما نقده وتمييزه (الشعر) فهذه صناعة أخرى، ولكنه أعرف الناس بإعرابه وغريبه، وهو الذي يدفع كثيراً من المعاصرين حتى أساتذة الجامعات لأن يفصلوا بين حقل الأدب وحقل اللغة والنحو، فهم إن كانوا من أصحاب الأدب، فإنهم غير مسؤولين عن إقامة الجملة السليمة، أو عن وضع الحركة الإعرابية المطلوبة، أو عن ترتيب الكلمات في الجملة. وانظر إلى ما يترتب على ذلك عند طلبة العلم على يديهم، وتصور كيف لو كان الأستاذ أو الطالب من تخصصات أخرى في كلية الآداب أو العلوم أو الهندسة أو غيرها.

هوامـــــــش

1 ابن جني، الخصائص، دار الهدى بيروت 33/1.

2 انظــر: F. DE Saussure, Course in general linguistics 1966, pp. 66-78

3 الجرجاني، دلائل الإعجاز ط 1977 ص 98.

4 الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 372.

5 الجرجاني، أسرار البلاغة ص 347.

6 انظر: F. DE Saussure, Course in general linguistics pp, 17-18

7 وربما كان في هذا تفسير لبعض الشواهد النحوية واللغوية في اللغة العربية، التي ترد مخالفة للقواعد النحوية، والتي يسميها نحاة البصرة "شاذة" لأنهم كانوا يسيرون وفقاً لمــنهج معــياري. في حين عمد أهل الكوفة لوضع قاعدة لهذا الشاذ فاختلطت عندهم قواعد الكلام بقواعد اللغة، وذلك لأنهم يسيرون وفقاً لمنهج وصفي.

8 السيوطي المزهر 59/1.

9 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 462.

10 انظــر: N. Chomsky, Aspects of the theory of syntax, the M. I. T. Press 1978, pp. 10-11.

11 انظر: N. Chomsky, Aspects, p. 139

12 انظر: N. Chomsky, Aspects, pp. 16-18
وانظــر: Jacobs and Rosenhaum, Transformations style and meaning pp. 77-78

13 انظر: N. Chomsky, Aspects, pp. 10-25

14 انظر: N. Chomsky, Aspects, pp. 16-18

15 انظــر: J. Frith, Papers in linguistics 1934, 1951 Oxford University Press 1969.

16 انظر الجرجاني، دلائل الإعجاز ط 1977 ص 142.

17 انظر: N. Chomsky, Aspects, pp. 63-4

18 انظر: N. Chomsky, Aspects, p. 152

19 لـم تعتبر الـ التعريف في تحليلنا من الاسم ولم نرمز له برمز مستقل كما هو الحال في اللغة الإنجليزية.

20 م ف = مركبي فعل. م أ = مركب اسمي، ح = حرف ، ن = نعت ض = ضمير.

21 انظـر: Jacobs and Rosenbaum, Transformations, style and meaning p. 20

22 انظـر: Jacobs and Rosenbaum, Transformations, style and meaning, p. 20

23 انظر: E. Bach, Syntactic theory, New York, 1974, p. 134

24 التوحيدي، الامتاع والمؤانسة القاهرة 1952، 107/1.

25 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 93.

26 الجندي، درويش نظرية النظم عند عبد القاهر. مكتبة نهضة مصر، 1960 ص 47.

27 انظر: J.R. Frith, Paper in Linguistics, 1934 p. 190

28 كـان هذا الرسم البياني بعد مناقشة واقتراح من Prof. Theo Vennemann في لقـاء شخصـي كان بيني وبينه في مارس 1981م في بولندا أثناء حضورنا المؤتمر اللغوي الدولي الثاني.

29 انظر: J.T. Grnder guide to transformational grammar, New York 1973, p. 177

30 الجرجانـي دلائل الإعجاز تحقيق عبد المنعم خفاجي مكتبة القاهرة 1969، ص 375، 462.

31 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 375.

32 الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 3.

33 الجرجانـي، دلائل الإعجاز ص 416. وانظر أيضاً: Jacoba and Rosenbaum, Transformations, style and meaning, Massachusetts, 1971, p. 145.

34 انظر: D. Bolinger, Meaning and form, Longman, 1979, p. 124

35 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 416.

36 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 44.

37 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 97.

38 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 117.

39 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 339.

40 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 93.

41 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص376.

42 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 386.

43 تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 205.

44 الجرجاني، دلائل ط 1977، ص 352.

45 الجرجاني دلائل الإعجاز ط 1977 ص 128.

46 الجرجاني، دلائل الإعجاز ص 118.

47 الجرجاني، دلائل الإعجاز ط 1977 ص 264.

* تمت مناقشة كثير من نقاط هذا البحث مع كل من الأستاذ الدكتور S. Kuno أستاذ علم اللغة في جامعة هارفرد، والأستاذ الدكتور سلمان العاني أستاذ علم اللغة في جامعة انديانا والأستاذ الدكتور يوسف الهليس أستاذ علم اللغة في الجامعة الأردنية أثناء رحلة إلى جامعة هارفرد بدعوة من قسم علم اللغة لالقاء بعض المحاضرات، وبدعم من جامعة اليرموك. وهنا أقدم شكري لهؤلاء جميعاً